قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (نظرية الرواية) السنة الثانية ماستر، تخصص:نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 01

يوم: 2020/12/26

الأفواج: 01-02

عنـــوان المحاضرة: مفهـــوم الروايـــة

الهدف من المحاضرة:

-تعرف الطالب على أهم النظريات التي قعدّت للرواية.

-تحديد أهم الفروق الجوهرية لصياغة مفهوم الرواية عبر تلك النظريات.

تمهيد:

عرفت الرواية بوصفها جنسا أدبيا له خصائصه الأجناسية والجمالية نضجا حقيقيا منذ القرن التاسع عشر، نتيجة التحولات الحضارية والتاريخية التي خضع لها المجتمع الغربي، خاصة بظهور المذهب الواقعي، لكونها تصور وتشخص الواقع بصراعاته، ومنفتحة على كل الخطابات، وفي هذا السياق يؤكد الباحث أحمد الجرطي في كتابه "تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر" بأن الرواية قد شهدت خلال النصف الأول من القرن العشرين "تنوعا في تشكيلاتها الجمالية وثراء دلالاتها الفكرية والإنسانية، جراء مواكبتها للتحولات الحضارية العميقة، حيث عرفت الرواية تراكما كبيرا وتنوعا في طرائق السرد كروايات مارسيل بروست، أندريه جيد، سارتر، ألبير كامي، سيمون دي بوفوار، كافكا، وليام فوكنر، إرنست هيمغواي، جيمس جويس" وغيرهم، وعلى هذا الأساس تراكمت النصوص الروائية المتباينة الموضوعات والمختلفة طرائق السرد، الأمر الذي أدى إلى ظهور جهود نقدية متباينة المنطلقات الفلسفية والشروط التاريخية المرافقة لها، مواكبة هذا التراكم بغية تأطيرها وصياغة تصور منهجي يُستند عليه أثناء استنطاقها لإبراز خصوصياتها النوعية.

إن المتأمل في مسار التنظير الروائي يلاحظ تعدد الطروحات النقدية نتيجة تباين الخلفيات المعرفية والشروط الحضارية، وفي هذا النطاق يؤكد الباحث جميل حمداوي في كتابه "مستجدات النقد الروائي" أن "ثمة مجموعة من النظريات الأدبية والنقدية الغربية التي حاولت تفسير نشأة الرواية، فهناك من اختار المقاربة الفلسفية (هيجل.....) وهناك من فضّل المقاربة السوسيولوجية (لوسيان غولدمان....)، وهناك من ارتضى المقاربة الأسلوبية –أو السوسيولوجية– (ميخائيل باختين...)، وهناك من اعتمد على المقاربة السيميائية الدينامية (فلاديمير كريزنسكي)، وهناك من فضل المقاربة النفسية (فرويد، مارت روبير،...)"

وتأسيسا على ما تقدم سنحاول تقديم مسح تاريخي لأهم التصورات النقدية التي اهتمت بالرواية من حيث ماهيتها وخصائصها وفقا لترتيبها الزمني.

*ماهية الرواية في التنظير الروائي الغربي:

قبل رصد أهم التعاريف المقدمة لجنس الرواية، أشير إلى أنّ معجم السرديات قد أكد بأنه من الصعوبة بمكان وضع تعريف "جامع مانع" لهذا الجنس الأدبي، نظرا لاختلاف تقنيات الكتابة، وتعدد الموضوعات وتباين رؤى العالم. إذ إن هذا التعدد صاحب التعريفات المعجمية لمصطلح "Roman" "فدلت على الحكاية الشعرية في بداياتها ثم أصبحت اسما يطلق على لهجة خارجة عن اللغة اللاتينية نزع إلى الحديث بها الإسبان والفرنسيون والإيطاليون بداية من القرن التاسع، وغدت فيما بعد عنوانا على "لغة العامة" أو "اللاتينية الوضعية، وظل استعمال كلمة Roman يتنوع حتى صارت تطلق بداية من القرن السادس عشر على "آثار قصصية نثرية متخيّلة ذات طول كاف تقدّم شخصيات بوصفها شخصيات واقعية وتصورها في وسط ما وتعرفنا بنفسياتها ومصائرها ومغامراتها"

فنظرية الرواية بوصفها "تسق الآراء التي صيغت بصدد النوع الروائي" نظريا أهمها:

1-الرواية في تصور فردريك هيجل:

من المسلمات التي لا تجادل أن الرواية نشأت في رحم الفلسفة، إذ يعد الفيلسوف الألماني هيغل أول من قدّم نظرية للرواية، متشبعا بالفلسفة الجدلية، منطلقا من فكرة التحولات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع الغربي، وكيف أثرت على المحكى الروائي؛ إذ إن الرواية في تصوره "مجال للصراع بين ما يسميه بشعر القلب ونثر العلاقات الاجتماعية، ومصادقة الظروف الخارجية، وهي بذلك تضطلع بوظيفة ملحمة بورجوازية داخل مجتمع منظم تنظيما نثريا مبتذلا، لأنها تظل دائما مهوسة بأن تعيد له كليته وشعريته اللتين فقدهما بحكم التحوّل التاريخي والاجتماعي". واللافت للنظر أن هيغل اهتم في تنظيراته الرواية بالمقارنة بينها وبين الملحمة منتهيا إلى أن الرواية "ملحمة حديثة أبرز

سماتها أنها مدار صراع بين شعر القلب والعلاقات الاجتماعية المبتذلة" كما ورد ذلك في معجم السرديات.

2-الرواية في تصور جورج لوكاتش:

أسهم جورج لوكاتش في تأسيس نظرية للرواية تؤطرها الفلسفة المادية الجدلية، مستفيدا من مقاربة هيجل الفلسفية للرواية، إذ طرحها في كتابه "نظرية الرواية" يرى الرواية بأنها الشكل الأدبي الأنسب لتصوير المجتمع البرجوازي، مقارنا الرواية بالملحمة، راصدا مختلف العوامل التي أسهمت في ظهور جنس الرواية الذي احتل مكانة الملحمة، وانتهى إلى أن الرواية "مسار تاريخي للروح التي تعبر العالم لتكتشف وتتعلم معرفة نفسها عبر اختبارات ومغامرات تعيد لها الثقة في ذاتها وتتيح لها إظهار قدراتها واستكشاف جوهرها"، فجوهر الرواية في تصوره يقوم على أساس أهمية الذات الفردية وهي تتصارع مع تناقضات عالمها الواقعي، بحثا عن القيم الأصلية في مجتمع منحط أخلاقيا، فالرواية عنده ملحمة برجوازية، تسعى دائما إلى استكناه حقيقة الذات والواقع. لذلك تجده في حصر مفهوم الرواية في كونها "بنية ديالكتيكية تتميز بأن لا شيء فيها يتصف بالثبات، فلا البطل الإشكالي الذي يبحث عن قيم مطلقة مستقرا ولا العالم الخارجي يحافظ على طابعه الايجابي بما يكفي ليجعل بحث البطل أمرا ممكنا، ولا حتى الزمن يستمر في علاقته المعقدة والموسطة بالقيم الأصلية" كما أورده حسن البحراوي في كتابه "بنية الشكل الروائي" وبهذا فتصوره قائم على جدلية التاريخ والواقع ولتفعيل منظوره النقدي طرح عملية من المقولات والمفاهيم الفلسفية تشكل مكونات نظريته، وهي: النمطية، الكلية، الوعي الممكن، البطل الإشكالي

3-الرواية في تصور لوسيان غولدمان:

سعى لوسيان غولدمان لطرح تصور نقدي يؤطر الرواية بديل عن سوسيولوجيا المضامين والبنيوية الشكلية، مركزا بذلك على البنى النصية وعلى البعد الاجتماعي، إذ أثار إشكالية الجدل القائم بين الذات المبدعة أهي ذات فردية أم ذات جماعية، مؤكدا أن الذات الجماعية هي المسؤولة عن إنتاج الخطاب الأدبي، إذ أورد الباحث جميل حمداوي في كتابه السابق الذكر تصور غولدمان الرواية بأنها "قصة بحث عن قيم أصيلة في عالم منحط يقوم به فرد منحط" وفي هذا السياق حرص على تقعيد الخطاب الروائي بطرح جملة من المقولات النقدية لاستثمارها في فهم وتفسير الرواية، وهي رؤية العالم، الوعي الممكن والوعي الكائن، البنية الدالة.

4-الرواية من منظور ميخائيل باختين:

من الثابت تاريخيا أن جهود ميخائيل باختين النقدية، قد أسهمت بشكل كبير في تطوير نظرية الرواية، وبلورة شعرية الخطاب الروائي من منظور أكثر فعالية، فقد أسس تصوره للرواية على "صرح نظريته في اللغة الحوارية، فرأى أن الرواية كاللغة حوار لا ينقطع، واعتبر أن الحوارية تخترق كل أبعاد النص الروائي من أسلوب وبنية وعلاقة بين المؤلف وبطله، فميزة الرواية أنها متعددة الأصوات تنبذ اليقين وتنزع إلى أن تجعل المعنى متعددا متشكلا داخل سيرورة، وتقبل أن يكون شكلها مرنا متغيرا منفتحا على بقية الأجناس الأدبية والتعابير الفنية" وهذا ما أورده معجم السرديات.

فقد أكد ميخائيل باختين في كتابه "الخطاب الروائي" أن الرواية هي "التنوع الإجتماعي للغات، وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا". وفي سياق بلورته مفهوما للرواية، اهتم باختين بأصلها متجاوز الطرح السابق المتمثل في أن الرواية ملحمة برجوازية؛ إذ إنه يراها "منحدرة من أصول ثلاثة: ملحمي وخطابي وكرنفالي، وعلى نقيض لوكاتش

ذهب باختين انطلاقا من آثار دوستوفسكي إلى أن الرواية أمتن صلة بفنون الكرنفال منها بالملحمة". وهذا ما أكده معجم السرديات، فالرواية في تصور باختين جنس هجين له القدرة على الانفتاح على بقية الخطابات الأدبية تتميز بالدينامية، وتستند على تعدد الملفوظات والحوارية.

أصلها يعود إلى الثقافة الشعبية قائمة على تعدد الايديولوجيات وقد طرح باختين جملة من المفاهيم والإواليات ترتهن بها نظريته للرواية أهمها: الحوارية، المناجاتية، تعدد الأصوات والأساليب...

5-الرواية من منظور مارت روبير:

تشبعت مارت روبير بطروحات فرويد، وسعت إلى تعميقها، فنظرت في أصل الرواية، وأعدتها منحدرة من أصول الإنسان في مرحلة الطفولة، فأسست تصورها حسب الباحث جميل حمداوي في كتابه السابق الذكر على أن "الرواية الأسرية موحدة بين عقدة أوديب وولادة الرواية..... فالرواية أثر مرضي من آثار طفولة قديمة، لا تنحرف عن البديهة إلاّ قليلا، لأن كل طفل صاغ في صمت حلمه، رواية لم تهجره أبدا. يصوغ كل إنسان وعلى نحو شعوري في طفولته رواية وينساها أو يكتبها حتى يتعرض وعيه عليه أن يلقي بها في ثنايا النسيان، كي يعود إليها لاحقا، إن عثر على شروط تعيد كتابة ما بدأ يوما منسيا وغارقا في النسيان"

وعلى هذا الأساس اعتبرت الرواية مردها شكلين اثنين حسب الباحث أحمد الجرطي في كتابه السابق الذكر، وهما الطفل اللقيط الذي تجسدها الرواية الفانتازية ورواية الابن غير الشرعي التي تجسدها الرواية الواقعية.

6-الرواية من منظور فلادمير كريزنسكي:

نظر كريزنسكي للرواية من منظور السيميائيات الدينامية فيرى الرواية وفقا لجميل حمداوي "مثل الكائن الحي له بنيته الوراثية والبيولوجية التي تجعله قادرا على التوالد والتناسل والتكيف والتأقلم مع الظروف والوضعيات والضغوطات الذاتية والموضوعية" فسؤال مرجعية الرواية ينبثق من "سيناريوهات إيديولوجية وإحالية وأخلاقية وتناصية واسطبتيقية ونزوية".

عموما هذه أهم النظريات التي سعت إلى تقعيد جنس الرواية وبلورة نمذجة تؤطرها لتحديد مقوماتها البنائية والدلالية والأجناسية والتداولية والمضمونية...

وأشير في النهاية إلى موقف معجم السرديات من مسألة تعريف الرواية إذ يرى بأن " تميز الرواية بالتنوع والحوارية والقدرة على التغير لا يبرر العزوف عن تعريف هذا الجنس وتحديد خصائصه ومقوماته الفنية، وإنما يلزمنا عقدا التميز بأن يكون التعريف مسايرا للرواية في انفتاحها وديناميتها وتنوعها نائيا بنفسه عن وهم إنجاز تعريف أنطولوجي يصل إلى ماهية الجنس الروائي في المطلق ويقدر على أن يحيط بقواعده الثابتة. وعلى هذا التعريف أن يعي العلاقة الجدلية بين المقومات الأجناسية بوصفها مشتركا عاما مجردا وبين تشكلاتها النصية بوصفها ظواهر فنية وتاريخية محسوسة ونسبية. خاضعة لعوامل فكرية وثقافية وحضارية واجتماعية متداخلة. فيكون التعريف تعريفين: تعريفا داخليا هدفه الوصول إلى تحديد العناصر التي تدفع إلى اعتبار نص ما نصا روائيا ويجب أن يقدّم على أنه محدد افتراضي نظري قد يتوافر جزء منه في نصوص ويغيب في نصوص أخرى وتعريفا خارجيا يتابع رحلة الرواية في الزمن راصدا مظاهر التنوع والتحوّل التي طرأت على النموذج النظري" بمعنى أن تعريف الرواية يبقى أفقا مفتوحا.

المراجع المعتمدة:

1-أحمد الجرطي: "تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر".

2-جميل حمداوي: مستجدات النقد الروائي.

3-محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات.

4-محمد الباردي: نظرية الرواية.

5-عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي.

6-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي.

7-ميخائيل باختين: الخطاب الروائي.

8-شارتييه: مدخل إلى نظريات الرواية.